في رحاب النور

أحاديث مختارة من كتاب الإيمان

من صحيحي البخاري ومسلم

دكتورة/ آمال محمد فتح الله ماضي

أستاذ الحديث المساعد

كلية الدراسات الإسلامية والعربية

جامعة الأزهر – فرع البنات بالقاهرة

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على إمام المرسلين سيدنا محمد خير خلق الله أجمعين وعلى آلة وأصحابه ومن نهج نهجهم إلى يوم الدين.

وبعد...

فهذه طائفة مختارة من أحاديث رسول الله صلوات الله وسلامه عليه، انتقيتها من أصح كتب السنة المشرفة مصحوبة بالشرح والتحليل وما ترشد إليه من فوائد جليلة.

فإن السنة النبوية المطهرة هى المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بعد كتاب الله عز وجل، وهى المبين لما أبهم فيه، والمفصل لما أجمل، وهى الحكمة التى أتاها الله عز وجل رسول محمد ﷺ وهى النجاة لمن تمسك بها، والأمان لمن عاش فى رحابها وما أحوجنا إلى الاعتصام بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ فى هذا العصر الذي أصبح يموج بالفتن، واشتد فيه الصراع بين الحق والباطل، وأوشكت البدعة أن تكون لها الصدارة فى معتقدات الناس وأخلاقهم، وهذا ما أشار إليه النبى ﷺ فى قوله:- (**أوصيكم بتقوى الله والسمع والطاعة، وإن عبداً حبشياُ، فإنه من يعش منكم بعدى فسيرى اختلافا كثيراً فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء المهديين الراشدين، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة**).[1]

ومن هذا المنطلق تأتى أهمية دراسة السنة النبوية الشريفة والوقوف على ما فيها من مبادئ قويمة، وأخلاق كريمة، وعظات بالغة، وتعاليم رشيدة.

وأسأل الله تعالى أن ينفع بهذا الكتاب كل قارئ وأن يجعله عملاً خالصاً لوجهه الكريم، وان يوقفنا لخدمة الكتاب والسنة النبوية المطهرة، وأن يغفر لي ولوالدي ولسائر المسلمين إنه سبحانه نعم المولى ونعم النصير.

وصلى الله على سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم

د. آمال محمد فتح الله ماضـــي
أستاذ مساعد بقسم الحديث وعلومه

التحذير من الكبر وتحريمه

روى الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر " قال رجل: إن الرجل يحب أن تكون ثوبه حسناً ونعله حسنة. قال: " إن الله جميل يحب الجمال. الكبر بطر الحق وغمط الناس " (١)

راوي الحديث:

هو عبد الله بن مسعود بن غافل بن حبيب، كنيته: أبو عبد الرحمن صاحب رسول الله ﷺ وخادمه وأحد السابقين الأولين إلى الإسلام من فضلاء الصحابة وفقهائهم وقرائهم، أسلم قديماً، كان رضي الله عنه يتحرى الآداء وضبط الرواية، ويزجر تلاميذه عن التهاون فيهما.

اسلم قبل عمر بن الخطاب، وحفظ من الرسول ﷺ سبعين سورة، وكان ﷺ يحب أن يسمع القرآن منه.

شهد فتوح الشام بعد النبي ﷺ، وأرسله عمر بن الخطاب إلى العراق معلماً ووزيراً لعمار بن ياسر ثم عزله وأمره بالقدوم إلى المدينة رغم شدة تمسك أهل الكوفة به، توفى بالمدينة سنة اثنتين وثلاثين من الهجرة، عن ستين سنة (٢).

معاني المفردات:

" مثقال ذرة " وزن ذرة والذرة: أصغر شيء في الكون.

" حسناً ": أي جميلاً.

" بطر الحق " هو دفعه وإنكاره ترفعاً وتجبراً. أي هو رد الحق.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان: باب تحريم الكبر وبيانه ٩٣/١ ح رقم ١٤٧.

(٢) تراجع ترجمته في الإستيعاب في معرفة الأصحاب ٩٨٧/٣ والإصابة في معرفة الصحابة ٣٦٨/٢، تذكرة الحفاظ ١٣/١.

" غمط الناس " معناه احتقارهم. يقال في الفعل منه غمطه يغمطه وغمطه يغمطه.

المعنى الإجمالي للحديث:

الدين الإسلامي دين تجمع وألفة ومحبة، وهو حريص على تنمية علاقة الفرد بالجماعة وهداية الناس إلى كل ما فيه صلاحهم.

لذا حذر عن كل خلة سيئة وعن كل صفة ذميمة من شأنها أن تقضي على كل علاقة حسنة بينهم وأن تنشر البغض وتقطع أواصر المودة. ولما كان الكبر أحد تلك الخصال السيئة منع من يحمل ولو القليل منه . من دخول الجنة، لأن المتكبر في حقيقته المجردة. هو المتمرد على الحق وعدم الرضا به والشعور بالصغار عندما ينصف من صاحبه، لأن المتكبر يحتقر غيره من الناس ويقلل من شأنهم، وليس منه اختيار الأثواب الحسنة والظهور بالزي الجميل فذلك أمر يريده الله ويحبه لأنه جميل يحب الجمال. أما الكبر والغطرسة فذلك الذي يحرم صاحبه من دخول الجنة.

وقوله ﷺ: " إن الله جميل يحب الجمال " اختلفوا في معناه أن كل أمره سبحانه وتعالى حسن جميل وله الأسماء الحسنى وصفات الجمال والكمال وقيل جميل بمعنى مجمل ككريم وسميع بمعنى مكرم ومسمع وقال الإمام أبو القاسم القشيري رحمه الله معناه جليل وحكى الإمام أبو سليمان الخطابي أنه بمعنى ذي النور والبهجة أي مالكهما. وقيل معناه جميل الأفعال بكم باللطف والنظر إليكم يكلفكم اليسير من العمل ويعين عليه ويثيب عليه الجزيل ويشكر عليه.

وأما قوله ﷺ: " لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من كبر فقد أختلف في تأويله. فذكر الخطابي فيه وجهين:

أحدهما: أن المراد التكبر عن الإيمان فصاحبه لا يدخل الجنة أصلاً إذا مات عليه.

والثاني: أنه لا يكون في قلبه كبر حال دخوله الجنة كما قال تعالى: **(ونزعنا ما في صدورهم من غل)** [١]

وهذان التأويلان [٢] فيهما بعد. فإن هذا الحديث ورد في سياق النهي عن الكبر المعروف وهو الارتفاع على الناس واحتقارهم ودفع الحق. فلا ينبغي أن يحمل على هذين التأويلين المخرجين له عن المطلوب. بل الظاهر ما اختاره القاضي عياض وغيره من المحققين أنه لا يدخل الجنة دون مجازاة إن جازاه وقيل هذا جزاؤه لو جازاه وقد يتكرم بأنه لا يجازيه بل لابد أن يدخل كل الموحدين الجنة إما أولاً وإما ثانياً بعد تعذيب بعض أصحاب الكبائر الذين ماتوا مصرين عليها . وقيل لا يدخلها مع المتقين أول وهلة. وأما قوله ﷺ لا يدخل النار أحد في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان في الحديث الآخر الذي أخرجه مسلم في صحيحه [٣] فالمراد به دخول الكفار وهو دخول الخلود. وقوله ﷺ مثقال حبه هو على ما تقدم من زيادة الإيمان ونقصه يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي وأما قوله قال رجل إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً فهذا الرجل هو مالك بن مرارة الرهاوي [٤]. وقيل غير ذلك.

ما يستفاد من الحديث:

١ . أن المتصف بالكبر يمنع من دخول الجنة.

٢ . أن الكبر حقيقة هو التطاول على الناس وعدم الانصياع للحق.

٣ . للكبر مفاسد كبيرة منها:

أ . جحد نعمة الله تعالى الذي أنعم عليه بما فضله به على الآخرين.

ب . فيه ظلم الآخرين وعدم إنصافهم.

---

(١) سورة الأعراف: آية ٤٣.

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي ٩١/٢ ـ ٩٢.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان: باب تحريم الكبر وبيانه ٩٣/١ ح ١٤٨.

(٤) صحيح مسلم بشرح النووي ٩٢/٢.

ج . قد يصل بالمرء إلى إضاعة الحق الذي عليه.

د . جعل نفسه بمنزلة فوق التي وضعه الله فيها.

٤ . أنه ليس من الكبر اختيار الملابس الجميلة والظهور بالزي الحسن. ولذلك يستحب العناية بالمظهر بتحسين اللباس وتجميل الهيئة ما لم يصل ذلك إلى حد الإسراف.

٥ . دل الحديث على أن الجمال صفة من صفات الله تعالى التي تليق بجلاله وعظمته.

٦ . من صفات المسلم الحق التواضع لخلق الله تعالى، وما تواضع عبد لله إلا رفعه. والتواضع جالب للمحبة، مزيل للعداوة، يُعين على شكر النعمة.

٧ . دل الحديث على أن الإسلام يحارب كل خصلة رذيلة وصفة ذميمة

٨ . تحريم التعالي على الناس، والتكبر عليهم بالكلام أو بالفعل أو بالاعتقاد.

٩ . الكبر يدل على إعجاب بالنفس وغرور، وهذه من الآفات التي تفسد القلوب والأبدان.

أطعم الطعام وأقرئ السلام

روى مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما أن رجلا سأل النبي ﷺ: " أي الإسلام خير ؟ قال: تطعم الطعام وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف " (١)

راوي الحديث:

عبد الله بن عمرو بن العاص بن وائل القرشي السهمي، يكنى ابا محمد وقيل: أبو عبد الرحمن، أمه ريطة بنت منبه بن الحجاج السهمي يلتقى نسبه مع النبي ﷺ في كعب بن لؤي، وكان زاهداً عالما قرأ القرآن والكتب السابقة (التوراة والإنجيل) وكان يكتب عن النبي ﷺ كل ما يسمعه منه، واستأذن النبي ﷺ في أن يكتب حديثه فأذن له، قال يا رسول الله أأكتب كل ما أسمع منك في الرضا والغضب ؟ قال: نعم فإني لا اقول إلا حقاً.

قال أبو هريرة: ما كان أحد أحفظ لحديث رسول الله ﷺ مني إلا عبد الله بن عمرو بن العاص، فإنه كان يكتب ولا أكتب أستأذن رسول الله ﷺ في ذلك فأذن له.

كان اسمه العاص فغيره النبي ﷺ إلى عبد الله كان رضي الله عنه يصوم النهار ويقوم الليل، فشكاه أبوه إلى رسول الله ﷺ، فقال له رسول الله ﷺ: " إن لعينك عليك حقاً وإن لأهلك عليك حقاً وإن لزورك عليك حقاً، قم ونم، وصم وأفطر، صم ثلاثة أيام من كل شهر فذلك صياح الدهر، فقال: إني أطيق أكثر

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان: باب إطعام الطعام من الإسلام ٥٥/١ ح رقم١٢.
ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان: باب بيان تفاضل الإسلام وأي أموره أفضل ٦٥/١ ح رقم٦٣.

من ذلك، ومازال يراجع النبي ﷺ حتى عزم عليه أن يصوم يوماً ويفطر يوماً، وأن يختم في كل سبع، ونهاه عن الزيادة ففعل.

ثم شق عليه الأمر في آخر حياته حين كبر وعمى فقال: " ياليتني قبلت رخصة رسول الله ﷺ " ولكنه لم يغير شيئاً مما فارقه عليه.

روى عبد الله بن عمرو بن العاص عن النبي ﷺ كثيراً، وعن عمر، وأبي الدرداء، ومعاذ، وابن عوف، وعن والده.

وروي عنه من الصحابة: ابن عمر، وأبو أمامة، والمسور، والسائب بن يزيد، وأبو الطفيل، وعدد كبير من التابعين.

له في الصحيحين خمسة وأربعون حديثاً، واختلف في موضع وفاته قيل بمكة وقيل بالشام وقيل بمصر.

توفى رضي الله عنه عن اثنتين وسبعين عاماً سنة خمس وستين، على المشهور [1]

معاني المفردات:

" أى الإسلام " استفهمام عن أفضل الخصال في الإسلام.

" تطعم الطعام " تطعم في تقدير المصدر أي تجود بإطعام الطعام للمحتاج وابن السبيل.

" تقرأ السلام " تجهر وتبدأ بالسلام على كل أحد.

المعنى الإجمالي للحديث:

في هذا الهدي النبوي الكريم يجيب النبي ﷺ سائلاً سأل عن أفضل الأعمال الخيرية في الإسلام وقيل إن هذا السائل هو أبو ذر، وقيل هو هانئ بن يزيد والد شريح على خلاف في ذلك. فيجيب النبي ﷺ أفضلها: أن تبدأ بالسلام وتجهر به

(١) أسد الغابة لابن الأثير ٣٥٠/٣، تهذيب التهذيب ١٢٧/٧، الإصابة ٣٩٠/٢، الإستيعاب ٩٧٠/٣ ـ ٩٧٢.

لكل أحد سواء كنت تعرف من تسلم عليه أو لم تكن تعرفه. أي لا تخص به أحد تكبراً أو تصنعاً، بل تعظيما لشعار الإسلام ومراعاة لإخوة المسلم فإن قيل: اللفظ عام فيدخل الكافر والمنافق والفاسق أجيب بأنه خص بأدلة أخرى أو أن النهي متأخر وكان هذا عاماً لمصلحة التأليف وأما من شك فيه فالأصل البقاء على العموم حتى يثبت الخصوص وهذا العموم مخصوص بالمسلمين فلا يسلم ابتداء على كافر.

وإطعام الطعام للمحتاج وابن السبيل منقبة عظيمة تدل على الكرم والجود والمواساة ومن أعانه الله على الكرم والجود ستر الله عيوبه وأحبه الناس وأعظم الله ثوابه يوم القيامة.

كما أن من أفشى السلام وتعودّ مصافحة المسلمين تناثرت خطاياه وأعظم الله جزاءه وإفشاء السلام يزيل البغضاء والأحقاد ويزرع المودة في أفراد المجتمع والبداية به سنة ورده واجب وخص هاتين الخصلتين بالذكر لمسيس الحاجة إليهما في ذلك الوقت لما كانوا فيه من الجهد، ولمصلحة التأليف ويدل على ذلك أنه عليه الصلاة والسلام حث عليهما أول ما دخل المدينة. وذكر الإطعام ليدخل فيه الضيافة وغيرها [1]

ما يستفاد من الحديث:

١ . فيه الحث على إطعام الطعام والجود والاعتناء بنفع المسلمين.

٢ . إطعام الطعام من الأعمال الخيرية دنيا وأخرى.

٣ . فيه الكف عن إيذاء المسلمين بقول أو فعل بمباشرة أو سب والإمساك عن احتقارهم.

٤ . فيه الحث على تآلف قلوب المسلمين واجتماع كلمتهم وتوادهم واستجلاب ما يحصل ذلك.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٠/٢، فتح الباري شرح صحيح البخاري ٥٥/١ ـ ٥٦.

٥ . إفشاء السلام والحث عليه والبداية به لمن عرفت ولمن لم تعرف من الآداب الإسلامية التي تزيل الأحقاد وتزرع المودة.

٦ . فيه إخلاص العمل لله تعالى.

٧ . فيه استعمال خلق التواضع وإفشاء شعار هذه الأمة.

سب الوالدين من أكبر الكبائر

روى مسلم بسنده عن عبد الله بن عمرو بن العاص أنَّ رسول الله ﷺ قال: من الكبائر شتم الرجل والديه قالوا يا رسول الله وهل يشتم الرجل والديه قال نعم يسب أبا الرجل فيسب أباه ويسب أمه فيسب أمه " (١)

راوي الحديث:

عبد الله بن عمرو بن العاص سبقت ترجمته.

معاني المفردات:

" من الكبائر شتم الرجل والديه " هذا يفيد أن الذنوب تنقسم إلى صغائر وإلى كبائر وأن الكبائر تتفاوت فبعضها أكبر من بعض. وفيه دليل على أن من تسبب في شيء جاز أن ينسب إليه ذلك الشيء. وإنما جعل هذا عقوقاً لكونه يحصل منه ما يتأذى منه الوالد تأذياً ليس بالهيّن.

وشتم الرجل والديه: أي يتسبب إلى شتمهما فهو من المجاز المرسل من استعماله المسبب في السبب وقد بينه ﷺ بجوابه عمن سأله بقوله "نعم" والمراد هنا مطلق السب والشتم.

" وهل يشتم الرجل والديه " هل للاستفهام وهو استفهام استبعادي، والمعنى: على أية حال يلعن الرجل والديه، نستبعد أن يحدث ذلك.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان: باب بيان الكبائر وأكبرها ٩٢/١ ح رقم ١٤٦.
والترمذي في سننه: كتاب البر والصلة: باب ما جاء في عقوق الوالدين ٣١٢/٤ ح رقم ١٩٠٢.
وأحمد بن حنبل في مسنده ١٦٤/٢.

المعنى الإجمالي للحديث:

عقوق الوالدين من أكبر الذنوب، ولذلك يقول رسولنا الكريم ﷺ " ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثاً . قلنا بلى يا رسول الله قال: الإشراك بالله وعقوق الوالدين وشهادة الزور أو قول الزور وكان رسول الله ﷺ متكئاً فجلس فمازال يكررها حتى قلنا ليته سكت " (١)

ولعن الرجل والديه وسبهما نوع من العقوق ومجلبة لغضبهما وسخطهما ولذلك كان من أكبر الكبائر . وقد لعن الله من يلعن والديه.

ولما كان صدور اللعن والسب من الولد لوالديه أمر قليل الحصول والغالب أن الطبع السليم ينبو عنه والرجل المؤمن العاقل ينفر منه ولا يقدم على فعله.

استغرب الصحابة رضي الله عنهم ذلك (لأن الطبع السليم يأباه) وسألوا الرسول ﷺ على طريق الاستفهام وقالوا: " وهل يشتم الرجل والديه ؟ " فبين لهم عليه الصلاة والسلام في الجواب أنه وإن لم يفعل ذلك مباشرة في الأغلب الأكثر لكن قد يقع منه التسبب فيه فيسب أبا رجل آخر فيسب هذا الآخر أباه، ويزيد المسبوب شتم أم الساب، أو يسب أمه فيسب أمه وذلك مما يمكن وقوعه وحصوله ولذلك توعد الرسول ﷺ من يتسبب في ذلك وها نحن نرى بعض الذين اتخذوا الهجر من القول واللغو في الكلام سبيلاً وطريقاً للتظرف والتندر يقع ذلك منهم كثيراً فيلعن بعضهم أبا بعض ويلعن أمه . ونرى كثيراً من الذين لا خلاق لهم لا

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الشهادات: باب ما قيل في شهادة الزور ٢٦١/٥ ح رقم ٢٦٥٤.
وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان: باب بيان الكبائر وأكبرها ٩١/١ . ٩٢ ح رقم ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥ بروايات ثلاث.
وأبو داود في سننه: كتاب الأقضية: باب في شهادة الزور ٣٠٥/٣ ح ٣٥٩٩، والترمذي في سننه: كتاب البر والصلة: باب ما جاء في عقوق الوالدين ٣١٢/٤ ح رقم ١٩٠١ وأحمد بن حنبل في مسنده ٤٠٨/١، ١٢١/٣، ١٢٤، ٢٧/٥، ٢٨.

يقع منهم الشتم والسب إلا بالآباء . والأمهات . ومن المؤسف حقاً أن نرى بعض المثقفين من الشباب يفعلون ذلك بدون مبالاة . وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على الخلق الوضيع والطبع السقيم وضعف الوازع الديني عند هؤلاء وعدم التأدب بآداب القرآن الكريم وسنه النبي ﷺ وكلامه.

فليتق الله من دأب على ذلك ويطهر لسانه من هذا الدنس ولا يتسبب في لعن أحق الناس ببره واحترامه.

وإذا كان التسبب في لعن الوالدين من أكبر الكبائر فالتصريح بسبهما وشتمهما أشد وأفظع. ولا يتلبس به إلا سفلة القوم وشرار الخلق. وهذا الحديث أصل في سد الذرائع كما قال ابن بطال [1] وما أرفع آداب الإسلام، وما أبعد المسلمين عنها في هذا العصر الذي نسمع فيه عن ضرب الأمهات، وذبح الآباء من أجل عرض حقير فاللهم العفو والعافية في الدين والدنيا يا أرحم الراحمين.

ما يستفاد من الحديث:

١ . يؤخذ من هذا الحديث أن الذنوب منها ما هو صغير ومنها ما هو كبير ومنها ما هو أكبر.

٢ . عظم حق الوالدين لأن القول الذي هو ممكن أن يترتب عليه سبهما جعله الرسول عليه الصلاة والسلام من أكبر الكبائر فكيف بما هو أكبر من ذلك ؟

٣ . أن كل ما يكون محتملاً أن ينتج منه شر لا يفعل خيفة من وقوع الشر وهذا من باب الحرم في الأمور وسد الذرائع قال تعالى: **(ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم)**[2]

---

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ٥/٢٦١ . ٢٦٢.

(٢) سورة الأنعام: آية ١٠٨.

٤ . استنبط منه الماوردي تحريم بيع الثوب الحرير إلى من يتحقق منه لبسه، والغلام الأمرد إلى من يتحقق منه فعل الفاحشة والعصير لمن يتخذه خمراً والسلاح لمن يقطع الطريق.

٥ . مراجعة الطالب لأستاذه فيما يقوله مما يشكل عليه وهذا مأخوذ من قول الصحابة رضي الله عنهم. وكيف يسب الرجل والديه . والله أعلم.

٦ . في هذا الحديث دليل على أنه يعمل بالغالب لأن الذي يسب أبا الرجل قد لا يجازيه بالسب لكن الغالب هو المجازاة.

٧ . سد الذرائع.

٨ . أن الأصل يفضل الفرع بأصل الوضع ولو فضله الفرع ببعض الصفات.

في حب الأنصار

روى الإمام مسلم بسنده عن البراء بن عازب رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال في الأنصار: " لا يحبهم إلا مؤمن ولا يبغضهم إلا منافق من أحبهم أحبه الله ومن أبغضهم أبغضه الله " (١)

راوي الحديث:

هو البراء بن عازب بن الحارث بن عدي بن حشم الأوسي الأنصاري يكنى بأبي عمارة وقيل أبو الطفيل وقيل أبو عمرو صحابي بن صحابي نزل الكوفة. استصغر يوم بدر. وشهد مع الإمام على الجمل وصفين روى بعض الأحاديث عن النبي ﷺ وعن أبي بكر وعمر وعلي وأبي أيوب وبلال وغيرهم.

خرج له الشيخان والأربعة وغيرهم.

مات سنة ٧٢ هـ (٢).

معاني المفردات:

" يحبهم ": الحب ضد البغض والمعنى يحبهم ويدين لهم بالفضل في مناصرة الإسلام وقيل المراد حب جميعهم وبغض جميعهم لأن ذلك إنما يكون للدين ومن أبغض بعضهم لمعنى يسوغ البغض له فليس داخلاً في ذلك.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان: باب علامة الإيمان حب الأنصار ٦٢/١ ح ١٧.

ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان: باب الدليل على أن حب الأنصار وعلىّ رضي الله عنهم من الإيمان وعلاماته وبغضهم من علامات النفاق ٨٥/١ ح ١٢٩.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة ١٤٢/١ ـ ١٤٣ / ٦١٨، الاستيعاب في معرفة الأصحاب ١٥٥٥/١ــ ١٥٥٧ / ١٧٣، الرياض المستطابة ص ٣٧، الجرح والتعديل ٣٩٩/٢ / ١٥٦٦، تهذيب التهذيب ٤٢٥/١ / ٧٨٤، تقريب التهذيب ٩٤/١ / ١٦.

" يبغضهم ": البغض ضد الحب والمعنى لا يحبهم ولا يعترف بفضلهم في مناصرة الإسلام.

المعنى الإجمالي للحديث:

يخبرنا الرسول الكريم ﷺ أن من أحب الأنصار وأعترف لهم بفضل مناصرتهم الدين وعرف مرتبتهم وما كان منهم في نصرة دين الإسلام والسعي في إظهاره وإيواء المسلمين وقيامهم في مهمات دين الإسلام حق القيام، وحبهم النبي ﷺ وحبه إياهم وبذلهم أموالهم وأنفسهم بين يديه، وقتالهم ومعادتهم سائر الناس إيثاراً للإسلام. وأحبهم كان ذلك من دلائل صحة إيمانه وصدقه في إسلامه لسروره بظهور الإسلام والقيام بما يرضي الله سبحانه وتعالى ورسوله ﷺ ومن ابغضهم ولم يعترف بسابق مناصرتهم للإسلام والجهاد لإظهاره لم يحبه الله، وكان منافقاً فاسد السريرة.

إن حب أصحاب رسول الله ﷺ جميعاً من الأمور التي أكدها الإسلام

وفي هذا الحديث يقرن الرسول ﷺ حب الأنصار بحب الله وبغضهم ببغض الله فكن محباً لجميع أصحاب رسول الله ﷺ وحافظ على حب أنصار دين الله ورسوله يحبك الله.

قال رسول الله ﷺ: " الأنصار شعار والناس دثار ولو سلك الأنصار وادياً أو شعباً لسلكت وادي الأنصار أو شعبهم، الأنصار مني وأنا منهم ولولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار " (١)

وروى أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ " آية المنافق بغض الأنصار وآية المؤمن حُب الأنصار " (٢)

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب مناقب الأنصار: باب قول النبي ﷺ: " لولا الهجرة لكنت امرءاً من الأنصار قاله عبد الله بن زيد عن النبي ﷺ ١١١/٧ ـ ١١٢ ح رقم ٣٧٧٩ (فتح الباري) وفي نفس الكتاب باب مناقب الأنصار ١١٠/٩ ح ٣٧٧٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان: باب الدليل على أن حب الأنصار وعليّ رضي الله عنهم من الإيمان وعلاماته وبغضهم من علامات النفاق ٨٥/١ ح رقم ١٢٨

والآية هي العلامة فحب الأنصار من دلائل صحة الإيمان وصدق الإسلام. ومن أبغض الأنصار كان بضد ذلك واستدل بهذا البغض على نفاقه وفساد سريرته والله أعلم [1]

ما يستفاد من الحديث:

١ . اقتران حب الله عز وجل بحب الأنصار وبغضه ببغضهم.

٢ . تأكيد محبه أصحاب رسول الله ﷺ جميعاً.

٣ . وجوب الاعتراف بفضل الأنصار في مناصرة الإسلام والمسلمين وبذلهم أموالهم وأنفسهم بين يدي رسول الله ﷺ ومعادتهم سائر الناس إيثاراً للإسلام.

(١) فتح الباري شرح صحيح البخاري ١١٣/٧ ـ ١١٤.

أفضل الأعمال

روى الإمام مسلم بسنده عن أبي ذر، رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله أي الأعمال أفضل ؟ قال: " الإيمان بالله والجهاد في سبيله " قال قلت: أي الرقاب أفضل ؟ قال: " أنفسها عند أهلها، وأكثرها ثمناً " قال قلت: فإن لم أفعل؟ قال " تعين صانعاً أو تصنع لأخرق " قال قلت: يا رسول الله ! أرأيت إن ضعفت عن بعض العمل ؟ قال " تكف شرك عن الناس، فإنها صدقة منك على نفسك " (١)

راوي الحديث:

أبو ذر الغفاري هو جندب بن جنادة الغفاري الزاهد المشهور، الصحابي وهو خامس السابقين إلى الإسلام بايع النبي ﷺ على ألا تأخذه في الإسلام لومة لائم وكان زاهداً ورعاً وقال له النبي ﷺ حين أسلم: ارجع إلى قومك فأخبرهم حتى يأتيك أمري، فقال: والذي نفسي بيده لأصرخن بها بين ظهرانيهم، فخرج حتى أتى المسجد فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً عبده ورسوله، فقام إليه القوم فضربوه حتى أضجعوه. وأتى العباس فأكب عليه وقال: ويلكم، ألستم تعلمون أنه من غفار، وأنهم في طريق تجارتكم إلى الشام ؟ فأنقذه منهم، ثم عاد في الغد إلى مثلها فضربوه وثاروا عليه، فاكب عليه العباس وحماه.

كان رضي الله عنه طويل القامة أسمر البشرة نحيفاً، قدم المدينة مهاجراً بعد غزوة بدور وأحد فلم يتهيأ له شهودهما.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان: باب من قال إن الإيمان هو العمل ٧٧/١ ح ٢٦.
وأخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان: باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال ٨٩/١ ح ١٣٦.

روى عن النبي ﷺ، وروى عنه أنس وابن عباس وأبو إدريس الخولاني، وزيد بن دهب الجهني والأحنف بن قيس وجبير بن نفير وعبد الرحمن بن تميم وسعيد بن المسيب وخالد بن وهبان والمعرور بن سويد وعبد الله بن الصامت وأمرأة أبي ذر وخلق كثير.

وأخرج أبو داود بسنده عن علي بن أبي طالب قال: " أبو ذر دعاء ملئ علماً ثم أوكئ عليه " (١).

وأخرج أحمد بسنده عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " ما أقلت الغبراء ولا أظلت الخضراء أصدق لهجة من أبي ذر " (١)

توفى رضي الله عنه بالربذة سنة إحدى وثلاثين، وقيل في الثانية والثلاثين وصلى عليه ابن مسعدود بالربذة (٣).

معاني المفردات:

" أفضل الأعمال " صيغة تفضيل بمعنى أكثر الأعمال ثواباً عند الله،

" الجهاد " تحمل المشقة وبذل الجهد بالنفس والمال والقول في مجاهدة الكفار والبغاة.

" أي الرقاب " أي في العتق وعبر عن عتق العبد بفك الرقبة لأن حكم السيد عليه ملكة له كحبل في رقبة العبد، كالغل المانع له من الخروج، فإذا أعتق فكأنه أطلقت رقبته من ذلك.

" أنفسها عند أهلها " النفيس: المرغوب والمراد أكثرها قيمة لتطلع النفوس إليها. وقيل ارفعها وأجودها، أغلى خبر مبتدأ محذوف، ثمنا تمييز وجاء في رواية " أكثرها ثمناً ".

---

(١) أخرجه أبو داود في سننه: كتاب العلم: باب فضل العلم قبل القول والعمل ٣٤٥/٣ ح ١٢٦٥ وقال سنده جيد.

(٢) أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده ٢٤٥/٤، ٢٦٧، ٣٧٠، ٣٩٥.

(٣) راجع ترجمته في الإصابة ٦٢/٤.

" فإن لم افعل " أي إن لم اقدر على ذلك فأطلق الفعل وأراد القدرة عليه، وجاء في رواية " فاعن لم استطع "

" تعين صانعاً " بالصاد والنون من الصنعة أي تعينه على صنعته بالنفس أو المال، وفي رواية " ضايعاً " بالضاد والهمزة أي تعين ذا ضياع من فقر أو عيال. على العمل والكسب.

" تصنع لأخرق " الأخرق هو الذي ليس بصانع. يقال رجل أخرق وامرأة خرقاء، لمن لا صنعة له فإن كان صانعاً حاذقاً قيل رجل صنع بفتح النون وامرأة صناع بفتح الصاد.

المعنى الإجمالي للحديث:

كثيراً ما كان الصحابة رضي الله عنهم يسألون رسول الله ﷺ عن فضائل الأعمال وخير الخصال وكان يجيبهم على قدر أسئلتهم وفي هذا الحديث يجيب الرسول ﷺ أبا ذر بأن أفضل الأعمال وأكثرها ثواباً عند الله هي:

١. الإيمان بالله فيجب أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره.
٢. الجهاد في سبيل الله وهو أعلى درجات الإسلام لما فيه من البذل والتضحية بكل شيء من نفس ومال وجهد وما لنتائجه من آثار طيبة أهمها: عزة جانب المسلمين ودفع العدو عن الإضرار بالدين أو النفس والمال والحرمات حتى تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا السفلى، ومن أجل هذا كانت إجابة الرسول ﷺ لأبي ذر أن الجهاد هو أفضل أعمال البر بعد الإيمان.
٣. وثالث أفضل أعمال البر الرقاب، وأفضل الرقاب أغلاها ثمناً لأنها أكثر قيمة ومعنى هذا أن الشرع حث على التحرر والتخلص من الرق، وجعله مسلكاً من مسالك أعمال البر الموصلة إلى رضا الله سبحانه وتعالى كما أن المساعدة وإعانة الضعفاء وكف الأذى من أعمال البر التي حث

عليها الإسلام [1]. ويدل على ذلك قول أبا ذر: فإن لم استطع الجهاد، ولا العتق فأي الأعمال الصالحة أقدم ؟ قال الرسول ﷺ: تساعد الصانع الضعيف على صنعته بالنفس والمال أو تشغل عاطلاً قال أبو ذر فإن لم أستطع قال ﷺ: تكف اذاك عن الناس فإن كف الأذى عن الناس سواء كان باللسان أو الجوارح صدقة.

وفي هذا الحديث نجد الرسول ﷺ قرن الجهاد بالإيمان لأن الجهاد أفضل الأعمال إذ ذاك، كان عليهم أن يجاهدوا في سبيل الله حتى تكون كلمة الله هي العليا، على أن الجهاد ليس قاصراً على مجاهدة الكفار في ميادين القتال بل يشمل جهاد النفس الأمارة بالسوء وقصرها على طاعة الله عز وجل، وهذا ما عبر عنه الرسول ﷺ بالجهاد الأكبر حين عاد من الغزو فقال: " رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر "

هذه هي الدرجة الأولى في الأعمال الفاضلة، إيمان بالله وجهاد في سبيله، أما أفضل الرقاب عند العتق فأغلاها ثمناً وأحبها إلى صاحبها، لأن العتق على هذه الصفة لا تقع غالباً إلا خالصاً لوجه الله، وإليه الإشارة بقوله تعالى: **(لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون)** [2] وكان لابن عمر رضي الله عنه جارية يحبها فأعتقها لهذه الآية. وفي تطبيق هذا الوصف قال النووي [3]: محله والله أعلم فيمن اراد أن يعتق رقبة فوجد رقبة نفيسة ورقبتين مفصولتين فالرقبتان أفضل، وهذا بخلاف الأضحية فإن الواحدة السمينة أفضل كما اختلف فيما إذا كان النصراني أو اليهودي أكثر ثمناً من المسلم، فقال مالك: عتق الأغلى أفضل وإن كان غير مسلم وقيل: عتق المسلم أفضل، قال صاحب الفتح: والذي يظهر أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص، والضابط أن أيهما كان أكثر نفعاً كان أفضل سواء قل أو

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٧٥/٢ ـ ٧٦.
(٢) سورة آل عمران: آية ٩٢.
(٣) صحيح مسلم بشرح النووي ٧٤/٢ ـ ٧٦.

كثر، وإنما أمره بإعانة للصانع قبل الأخرق لأن إعانته أفضل من إعانة غير الصانع، لأن غير الصانع مظنة الإعانة، فكل أحد يعنيه غالباً بخلاف الصانع فإنه لشهرته بصنعته يغفل عن إعانته فهو من جنس الصدقة على المستور والله أعلم.

ما يستفاد من الحديث:

١. حرص الصحابة على السؤال عن أفضل الأعمال وحسن المراجعة في السؤال.
٢. الجهاد أفضل أعمال البر بعد الإيمان بالله.
٣. التخليص من الرق من أعمال البر.
٤. صبر المفتي والمعلم على التلميذ ورفقه به.
٥. فيه إشارة إلى أن إعانة الصانع أفضل من إعانة غير الصانع.
٦. فيه دليل على أن الكف عن الشر داخل في فعل الإنسان وكسبه فيؤجر عليه عند النية والقصد لا مع الغفلة والذهول.

من أحب الأعمال إلى الله تعالى الصلاة على وقتها

روى الإمام مسلم بسنده عن عبد الله بن مسعود قال: سألت رسول الله ﷺ أي العمل افضل ؟ قال " الصلاة لوقتها " قال قلت: ثم أي ؟ قال " بر الوالدين " قال قلت: ثم أي ؟ قال " الجهاد في سبيل الله " فما تركت أستزيده إلا إرعاء عليه " [1]

راوي الحديث:

عبد الله بن مسعود: سبقت ترجمته.

معاني المفردات:

" أي العمل أفضل " وردت في بعض الروايات أي العمل أحب إلى الله وفي بعضها " أي الأعمال أقرب إلى الجنة " والظاهر أن بعض الصيغ من تصرف الرواة والرواية بالمعنى.

" الصلاة لوقتها " المقصود الصلاة أول وقتها على الأصح. واللام للابتداء، وقيل إن اللام بمعنى " في " والمراد أداؤها في أي جزء من أجزاء وقتها. وفي رواية " الصلاة على وقتها " فلفظ على يدل على الاستعلاء على جميع الأوقات وهذه الرواية تدل على التمكن من الأداء في الوقت.

" ثم أي ؟ " المضاف إليه محذوف لفظاً، والتقدير: ثم أي العمل أفضل ؟

" بر الوالدين " البر ضد العقوق، يقال بررت والدي بفتح الباء وكسر الراء، ابره بفتح الباء، وأنا بربه بفتح الباء، وبار، وجمع البر أبرار وجمع البار والبررة ومعنى بر الوالدين أي الإحسان إليهما، وفعل الجميل
معهما، وفعل ما يسرهما. ويدخل فيه الإحسان إلى صديقهما.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحة: كتاب مواقيت الصلاة: باب فضل الصلاة لوقتها ٩/٢ ح رقم ٥٢٧.
ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان: باب بيان كون الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال ٨٩/١ ح رقم ١٣٧.

" فما تركت أستزيده إلا إرعاء عليه " كذا هو في الأصول: تركت استزيده من غير لفظ أن بينهما. وهو صحيح وهي مراده وإرعاء معناه إبقاء عليه ورفقاً به.

المعنى الإجمالي للحديث:

في مجال التنافس في الطاعات، ورغبة في التسابق إلى الخيرات يسأل عبد الله بن مسعود رسول الله ﷺ عن أفضل القربات. أي العمل الصالح أحب إلى الله وأكثر ثواباً ؟ ويجيبه ﷺ: أحب الصالحات إلى الله المحافظة على أداء الصلوات في مواقيتها، ويرى ابن مسعود رضي الله عنه أنه بحمد الله عز وجل يقوم بهذا العمل الصالح لكنه يحب أن يترقى ويزداد، فيسأل: ثم ماذا بعد هذا ؟ فيقول رسول الله ﷺ: ثم بر الوالدين ورعاية أمورهما والإحسان إليهما وقد جعل الإسلام حق الوالدين يلي حق الله تعالى فقال عز وجل (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى) [١] وذكر الله عز وجل في القرآن الكريم حق الوالدين وحق الأقربين في أكثر من آية تأكيداً لذلك فقال: (ووصينا الإنسان بوالديه حسناً) [٢].

وقوله عز وجل: (وءات ذا القربى حقه) [٣]، و (فئأت ذا القربى حقه) [٤] وقوله تعالى: (وأتقوا الله الذي تسآءلون به والأرحام) [٥].

وللوالدين حق الإحسان وهو كلمة جامعة تفي إسداء كل أمر حسن فمن ذلك:

(أ) الإنفاق:

---

(١) سورة النساء: آية ٣٦.
(٢) سورة العنكبوت: آية ٨.
(٣) سورة الإسراء، الآية ٢٦.
(٤) سورة الروم: آية ٣٨.
(٥) سورة النساء: آية ١.

إذا كان واجباً على المسلم أن ينفق على قرابته المحتاجين فمن أحق أولئك وأولاهم والداه. وإذا كان ما ينفقه المسلم على أهله ويحتسبه يكتب له به أجر، فمن أعظم هذه النفقات أجراً ما ينفقه على والديه. ما أعظم أن يفوز المرء بمثل هذه المنقبة، لعله يرد شيئا يسيراً مما أسداه إليه والداه، ويكسب بذلك رضي الله وجنته.

(ب) الكلمة الطيبة وحسن المعاملة:

ويتميز الوالدان بالشعور المرهف نحو الولد، ويشتد هذا الشعور بعد الكبر، حيث يشعران بالحاجة إلى العون والرعاية، وتكون حالتهما حالة ضعف قد يزدريها الإنسان ويحقر من شأنها، والكلمة الطيبة، والمعاملة الحسنة تبعثان على الثقة، وتشيعان في النفس روح البهجة، أما بذاءة اللسان بالكلمة النابية، أو إظهار ما يدل على التضجر، أو الإيذاء بأي نوع من أنواع الأذى كالزجر والغضب فذلك عقوق يحز في نفس الأبوين، يقول الله تعالى: **(إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف. ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما)**[1]، اف اسم فعل بمعنى أتضجر.

(ج) التواضع ولين الجانب:

والإسلام يدعو الولد مهما علت مكانته، وكانت وجاهته، أن يلين جانبه ويخفضه لوالديه في صغار وذلة رحمة بهما، وإشفاقاً على إحساسهما: قال تعالى: **(واخفض لهما جناح الذل من الرحمة)** [2]

(د) الدعاء لهما:

(١) سورة الإسراء آية ٢٣.

(٢) سورة الإسراء آية ٢٤.

الدعاء للوالدين من حسن الوفاء، وعظيم البر، ولا يقتصر أمره على حياتهما، بل يمتد في الحياة وما بعد الممات، فإذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث: إحداها الولد الصالح الذي يدعو لهما قال تعالى **(وقل رب أرحمهما كما ربياني صغيراً)** (١).

(هـ) الوفاء وصلة أهل ودهما:

وحقوق الوالدين تظل موصولة بعد مماتهما بصلة ذوى الرحم والمودة والصداقة لهما لما روى عن ابن عمر قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: " ومن أبر البر أن يصل الرجل أهل ود أبيه " (٢)

فضل الأم:

والأم في تلك الحقوق أولى من الأب، فإنهما وإن اشتركا في العناية بالولد، هذا برعايته وماله، وهذه بخدمته في مطعمه ومشربه وملبسه ومأواه، لكن الأم قد حملته في بطنها تسعة أشهر، يمتص خلاصة غذائها، فيزيد عناؤها، وهناً على وهن وضعفاً بعد ضعف، ولكم برحت بها الآلام عند ولادته، فأشرفت على الهلاك، وتظل ترضعه من خالص حياتها حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة.

---

(١) سورة الإسراء آية ٢٤.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب البر والصلة والآداب: باب فضل صلة أصدقاء الأب والأم، ونحوهما ١٩٧٩/٤ ح رقم ٥١١.

والترمذي في سننه: كتاب البر والصلة: باب ما جاء في إكرام صديق الولد ٣١٣/٤ ح رقم ١٩٠٣.

وقال أبو عيسى هذا إسناد صحيح وقد روى هذا الحديث عن ابن عمر من غير وجه.

وأحمد بن حنبل في مسنده ٩٧/٢.

والأم كذلك ضعيفة الجانب، تحتاج إلى من يقف بجانبها، يشعرها بالكرامة، ويكون عضداً لها في الشدة.

قال تعالى: **(ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهناً على وهن وفصاله في عامين أن أشكر لي ولوالديك إلى المصير)** (١)

وقوله تعالى: **(ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهراً)** (٢)

وكرر رسول الله ﷺ حق الأم ثلاثاً، ثم ابتعه بعد ذلك بحق الأب، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال: من أحق الناس بحسن صحابتي قال: أمك قال: ثم من ؟ قال: أمك قال: ثم من ؟ قال: أمك قال: ثم من ؟ قال: أبوك) (٣)

هذا وبر الوالدين يسمو به الإسلام (حيث لا يقصر ذلك على البر دون الفاجر) فهو حق عام يجب أداؤه، ومعروف ينبغي الوفاء به، ما لم يترتب على ذلك معصية أو ضرر شرعي، فإنما الطاعة في المعروف قال تعالى: **(وإن جاهداك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعمها وصاحبهما في الدنيا معروفا)** (٤).

ونعود مرة أخرى في توضيح باقي الحديث الذي نحن بصدد شرحه قال ابن مسعود: ثم ماذا من الأعمال أحب إلى الله عز وجل بعد الصلاة على وقتها وبر

---

(١) سورة لقمان آية ١٤.

(٢) سورة الأحقاف آية ١٥.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه. كتاب البر والصلة والآداب: باب بر الوالدين وأنهما أحق به ١٠٢/١٦ (النووي) وابو داود في سننه: كتاب البر والصلة: باب بر الوالدين ٤٧١/١٤ (عون المعبود) والترمذي في سننه: أبواب البر والصلة: باب وما جاء في بر الوالدين ٢١/١ وقال هذا حديث حسن (تحفة الأحوذي).

(٤) سورة لقمان آية ١٥.

الوالدين ؟ قال رسول الله ﷺ: ثم الجهاد في سبيل الله. وهو بذل الجهد في قتال الأعداء قال تعالى: **(وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين)** [1] ويشمل الجهاد الدفاع عن الدين، وتأمين الطريق أمام الدعوة الإسلامية، وفي الدفاع عن النفس والوطن فهو في سبيل الله لا صفة له بأساليب القهر والسطو والاستعمار والمتتبع لآيات الجهاد في القرآن يجد أنها قد خصته بإطار سليم نقي هو أنه في سبيل الله قال تعالى: **(إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعداً عليه حقاً في التوراة والإنجيل والقرءان ومن أوفى بعهده من الله فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)** [2].

ورغب ابن مسعود في الاسترسال في السؤال حرصاً على الاستزادة من العلم ومعرفة أبواب الخير، لكنه استشعر أو خاف ملل الرسول ﷺ، فسكت شفقة منه عليه، وهو يعلم أنه لو سأل زيادة لأجيب.

ما يستفاد من الحديث:

١ . أن أعمال البر يفضل بعضها بعضاً.

٢ . حرص الصحابة رضي الله عنهم . على تعلم ما ينفعهم من أمور دينهم ودنياهم، والمسلم الحق هو الذي يحرص على الإقتداء بهم.

٣ . سعة فضل الله حيث جعل الأعمال المحبوبة إليه كثيرة فيعمل العبد ما استطاع منها لينال محبة الله عز وجل.

٤ . الأعمال الصالحة التي يحبها الله عز وجل كثيرة ذكر الرسول ﷺ منها في هذا الحديث ثلاثة أمور:

أ . أداء الصلاة في وقتها جماعة.

---

(١) سورة البقرة آية ١٩٠.

(٢) سورة التوبة آية ١١١.

ب . بر الوالدين والإحسان إليهما وطاعتهم.

جـ . الجهاد في سبيل الله لإعلاء كلمة الله تعالى.

٥ . من أفضل الأعمال الجهاد في سبيل الله والدعوة إليه لنشر دين الله في الأرض.

٦ . الرفق بالعالم والتوقف من الإكثار عليه خشية الملل.

تحريم قتل النفس

أخرج مسلم بسنده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: " من قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يتوجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبداً. ومن شرب سما فقتل نفسه فهو يتحساه في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبداً. ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى في نار جهنم خالدا مخلدا فيها أبداً " (١).

راوي الحديث:

هو الصحابى الجليل أبو هريرة – رضى الله عنه- وهذه كنيته،كناه بها النبى صلى الله عليه وسلم أما اسمه فهو عبدالرحمن بن صخر الدوسى،وهو من كبار الصحابة الذين رووا عن رسول الله ﷺ ،ولقد كان أبو هريرة – رضى الله عنه من أكثر الصحابة رواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم،لأنه كان يلازمه ملازمة تامة حتى شهد رسول الله صلى الله عليه وسلم له بالحرص على الحديث،ودعا له بثبات الحفظ فلم يسمع شيئاً من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا حفظه. وقد روى البخارى فى صحيحه عن أبى هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق،وإن إخواننامن الأنصار كان يشغلهم العمل فى أموالهم وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه،ويحضر مالا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون(١)

أسلم عام خيبر وشهدها مع رسول الله ﷺ ، قال عنه الإمام الشافعي - رحمه الله – أبو هريرة أحفظ من روى الحديث فى دهره.

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه: كتاب الإيمان: باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وإن من قتل نفسه بشئ عذب به في النار وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ١ / ١٠٣ ح ١٧٥
والدارمي في سننه: كتاب الديات: باب التشديد على من قتل نفسه ٢ / ١١٢، ١١٣، ٢٣٦٧.
وأحمد بن حنبل في مسنده ٢ / ٢٥٤، ٤٧٨، ٤٨٨.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب العلم: باب حفظ العلم ٢١٣/١ -٢١٤ ح رقم ١١٨ .

وكان ﷺ أشهر من سكن الصفة ، ونقل عنه أنه قال: إنكم تزعمون ان أبا هريرة يكثر الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم والله الموعد أني كنت امرءاً مسكيناً أصحب رسول الله صلى الله عليه وسلم على ملء بطني ، وكان المهاجرون يشغلهم الصفق بالأسواق ، وكانت الأنصار يشغلهم القيام على أموالهم وحضرت من النبي ﷺ مجلساً فقال: من يبسط ردائه حتى أقضي مقالتي ،ثم يقبضه اليه فلن ينسى شيئاً سمعه مني ؟ فبسطت بردة عليَ حتى قضى حديثه ثم قبضتها الي فوالذي نفسي بيده ما نسيت منه شئ بعد[1].

وقال البخاري روى عنه أكثر من ثمانمائة رجل ما بين صاحب وتابع وممن روى عنه من الصحابة:

ابن عباس وابن عمر ،وجابر بن عبدالله وانس بن مالك ،وواثلة بن الأسقع ، استعمله عمر بن الخطاب رضي الله عنه على البحرين ثم عزله ثم أراده على العمل فأبى عليه ، ولم يزل يسكن المدينة حتى كانت وفاته بها سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين لهجرة عن ثمان وسبعين عاماً [2] وقيل توفي بالعقيق.

قيل روى أبو هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة ألاف وثلاثمائة وأربعة وسبعين حديثاً(٥٣٧٤) اتفق الشيخان على (٢٢٥) حديثاً وانفرد البخاري بثلاثة وتسعين حديثاً ومسلم بمائة وتسع وثمانين حديثاً.

معاني المفردات

" بحديدة ": أراد بها آلة قاطعة مثل السكين والسيف ونحوهما، والحديدة أخص من الحديد، سمي به لأنه منيع ولأن أصله من الحد وهو المنع، والجمع حدائد، فهو يعذب بها لأن الجزاء من جنس العمل.

([1]) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب العلم: باب حفظ العلم ٢١٥/١ ح رقم ١١٩ ومسلم في صحيحه: كتاب الفضائل: باب فضائل أبي هريرة ١٩٣٨/٤ ح رقم ٢٤٩٢.

([2]) راجع ترجمته في الإستيعاب في معرفة الأصحاب ١٧٦٨/٤-١٧٧٢، الإصابة في تمييز الصحابة ٤٢٦/٧ وما بعدها ، وأسد الغابة ٣١٨/٦ -٣٢١ ، وتهذيب التهذيب ٢٦٢/١٢ .

يتوجأ بها في بطنه: أي يطعن في بطنه، وتقرأ بدون الهمز أي بقلب الهمزة ألفاً. ومعناه يطعن.

ومن شرب سماً فهو يتحساه ": السم بضم السين وفتحها وكسرها ثلاث لغات. أفصحهن الثالثة وجمعه سمام ومعنى يتحساه يشربه في تمهل ويتجرعه.

" يتردى في نار جهنم " أي ينزل في نار جهنم. وأما جهنم فهم اسم لنار الآخرة. وهي عجمية لا تنصرف للعجمة والتعريف.

وقال آخرون: هي عربية لم تصرف للتأنيث والعلمية. وسميت بذلك لبعد قعرها.

وقيل: هي مشتقة من الجهومة والغلظ، فسميت جهنم لغلظ أمرها والله أعلم.

المعنى الإجمالي للحديث:

لقد حذر النبي ﷺ من قتل النفس سواء كانت نفس القاتل أو غيره لأن نفسه ليست ملكاً له حتى يتصرف فيها بحسب اختياره ومن يفعل ذلك فهو محروم من الجنة ورحمة الله لأنه عجل على نفسه بالموت يأساً وقنوطاً من رحمة الله في الدنيا فكان جزاؤه الحرمان من رحمة الله في الآخرة جزاء وفاقاً لما جنى على نفسه والله أعلم وإنما استحق العقوبة لأن الله عز وجل لم يطلعه على إنقضاء أجله فاختار هو قتل نفسه فاستحق المعاقبة بعصيانه وفي ذلك سخط على القضاء والقدر.

ومن الناس من لا يصبر على أحداث الزمان ونوائبه ولا يقوى على احتمال صدماته، فيلجأ إلى الانتحار متعجلاً نهايته، باذلاً حياته بلا ثمن. وذلك يدل على جبنه وضعف نفسه، وفراره من مجال الكفاح إلى سكون الموت، كما يدل على اختلال إدراكه وسوء تقديره، فالأيام متغيرة والعسر يأتي بعده اليسر وعثرة اليوم يعقبها نهوض الغد.

وفي الانتحار اعتراض على قضاء الله سبحانه وتعالى، ويأس من رحمته، وفقدان للثقة به وله إلى جانب ذلك آثار سيئة في المجتمع، فلو استجاب كل من

يصابون بالمحن والشدائد وما أكثرهم إلى هذه النزعة الخبيثة لخربت بيوت ويتمت أطفال، وأرملت نساء، وفقدت الأمة كثيراً من قواها وسواعدها العاملة.

إن الإسلام ينهي عن الضعف ويجب أن يكون أبناؤه أعزة أقوياء بالإيمان بالله، فالمنتحر فعل ذلك عن نقص في إيمانه وضعف فيه.

فالإبتلاء سنة الله تعالى في خلقه حتى يظهر الخبيث من الطيب، قال تعالى: (وليمحص الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين [1]) وأشد الناس إبتلاءاً الأنبياء عليهم السلام، تحملوا الكثير من الشدائد والمحن، وكثيراً منهم قتل على يد الكافرين.

وسبق أن وضحنا أن النفس البشرية ملكاً لله تعالى فهو سبحانه خالقها فكيف يحكم ويقرر العبد ويقدم على قتل النفس . وقد حرمها الله . وهي ليست مما تملكه يداه.

فالنفس أمانة لدى العبد لكي يصونها ويحرص عليها كل الحرص من كل سوء، فقتلها بلا شك جريمة عظيمة وعقابها القصاص.

وقد أخرج البخاري ومسلم بسندهما [2] عن سهل أن رجلاً من أعظم المسلمين غناء عن المسلمين، في غزوة غزاها مع النبي ﷺ فنظر النبي ﷺ فقال: من أحب ان ينظر إلى الرجل من أهل النار، فلينظر إلى هذا، فاتبعه رجل من القوم وهو على تلك الحال من أشد الناس على المشركين حتى جرح، فاستعجل الموت فجعل ذبابة سيفه بين ثدييه حتى خرج من بين كتفيه، فأقبل الرجل إلى النبي ﷺ مسرعاً فقال: أشهد أنك رسول الله، فقال وما ذاك ؟ قال: قلت لفلان من أحب أن ينظر إلى رجل من أهل النار، فلينظر إليه، وكان من أعظمنا غناء عن المسلمين، فعرفت أنه لا يموت على ذلك، فلما جرح استعجل الموت فقتل نفسه، فقال النبي

(١) سورة آل عمران ك آية ١٤١.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب في القدر: باب العمل بالخواتيم ٨ / ١٠٠.
ومسلم في صحيحه: كتاب الإيمان: باب غلظ تحريم قتل الإنسان نفسه وأن من قتل نفسه بشئ عذب به في النار وأنه لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة ١ / ١٠٦ ح ١٧٩.

ﷺ عند ذلك: إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة، ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار وإنما الأعمال بالخواتيم ".

وذباب السيف هو طرفه الأسفل وأما طرفه الأعلى فمقبضه.

ولهذا ينفر النبي ﷺ من الإقدام على قتل النفس ومن الإنتحار لما فيه من الاعتراض على قضاء الله تعالى وقدره وفقدان الثقة به سبحانه وتعالى، واليأس والقنوط من رحمته، عز وجل ويوضح الحديث بعض ما يلاقي المنتحر القاتل نفسه أو غيره من عذاب يوم القيامة، فهو يعذب في النار على الصورة التي إختارها، فإن قتل نفسه بحديدة سواء كان سيفاً أو سكيناً أو غيرها فهي في يده ويعذب بها جزاء ما عمل.

وإن قتل نفسه بالسم فهو يعذب به يوم القيامة يتمهل في شربه ويتجرعه قطرة قطره فيمزق أحشائه ويقطع أمعائه، وإن أسقط نفسه من جبل أو مكان عال فهو ينزل إلى نار جهنم يهوى فيها أمداً طويلاً. وجميعها أساليب رهيبة أختارها قاتل نفسه أو المنتحر وإذا بها أصبحت عقاباً له من جنس ما عمل.

فهو ارتضى لنفسه الخروج من الدنيا بهذه الصورة، فيمكث في جهنم أمداً طويلاً، أو يخلد فيها أبداً إذا أجمع إلى انتحاره كفره بالله وجحوده [1].

وفي قوله (خالداً مخلداً فيها أبداً) أنه يقتضي تخليد الموحد في النار وأجيب عنه من أوجه:

أحدها: أنه كان استحل ذلك الفعل فصار كافراً فيكون مخلداً بكفره لا بقتله لنفسه.

وثانيها: انه كان كافراً في الأصل وعوقب بهذه المعصية زيادة على كفره.

وثالثها: أنه يمكث في نار جهنم في وقت ما كالوقت الذي يدخل فيه السابقون أو الوقت الذي يعذب فيه الموحدون ثم يخرجون.

رابعها: ان المراد ان المنتحر تحرم عليه الجنة وهي جنة معينة كالفردوس مثلاً.

---

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٢ / ١١٨ ـ ١٢٤، فتح الباري شرح صحيح البخاري ٦ / ٢٧٧.

وخامسها: قال الإمام النووي [1]: يحتمل أن يكون شرع من مضى أن أصحاب الكبائر يكفرون بفعلها.

وسادسها: ان ذلك ورد على سبيل التغليظ وظاهره غير مراد، ولما كان الإنسان بصدد أن يحمله الضجر والغضب على إتلاف نفسه ويسول له الشيطان أن الخطب فيه يسير وأنه أهون من قتل نفس أخرى محرمة أعلم ﷺ أن ذلك في التحريم كقتل سائر النفوس المحرمة، وربما كان المراد بالخلود في النار طول المدة لا حقيقة الدوام، كأنه يقول يخلد مدة معينة وهذا بعيد. والله أعلم.

ما يستفاد من الحديث:

١ . تحريم قتل النفس سواء كانت نفس القاتل أو غيرها، وقتل الغير يؤخذ تحريمه من هذا الحديث بطريق الأولى.

٢ ـ الوقوف عند حقوق الله تعالى ورحمته بخلقه حيث حرم عليهم قتل نفوسهم

٣ . أن الأنفس ملك الله تعالى.

٤ ـ إن من قتل نفسه بشئ عذب به يوم القيامة.

٥ ـ فضيلة الصبر على البلاء وترك التضجر من الآلام لئلا يفضي إلى أشد منها.

٦ . تحريم تعاطي الأسباب المفضية إلى قتل النفس " الإنتحار ".

٧ ـ إن الثقة بالله تعالى والإيمان القوي به خير سلاح للمرء في الحياة الدنيا.

٨ ـ إن الإبتلاء سنة الله في خلقه.

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ٢ / ١٢٣ ـ ١٢٤.

الحلال والحرام

اخرج الإمام مسلم بسنده عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " الحلال بين والحرام بين، وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس فمن اتقى الشبهات استبرأ لدينه وعرضه، ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يرتع فيه، ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه، ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب [1] ".

راوي الحديث:

هو النعمان بن بشير بن سعد بن ثعلبة بن خلاس بن زيد الأنصاري الخزرجي، أول مولود أنصاري بعد الهجرة، له ولأبيه صحبة، روى أربعة وعشرين

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الإيمان: باب فضل من استبرأ لدينه ١ / ١٢٦ ح ٥٢ (الفتح) وفي كتاب البيوع: باب الحلال بين والحرام بين وبينهما مشبهات ٣ / ٦٩، ٧٠ عنه به ومسلم في صحيحه: كتاب الساقاة: باب أخذ الحلال وترك الشبهات ٣ / ١٢١٩، ١٢٢١ / ١٠٧ و ١٠٨.
والترمذي في سننه: كتاب البيوع عن رسول الله ﷺ: باب ما جاء في ترك الشبهات ٣ / ٥٠٢ ح ١٢٠٥ وقال أبو عيسى هذا حديث حسن صحيح.
وأبو داود في سننه: كتاب البيوع: باب في إجتناب الشبهات ٣ / ٢٤٣، ٣٣٢٩ و ٣٣٣٠.
والنسائي في سننه: كتاب البيوع: باب في إجتناب الشبهات في الكسب ٧ / ٢٤١: ٢٤٣ وفي كتاب آداب القضاة، باب الحكم باتفاق أهل العلم ٨ / ٢٣٠ عن ابن مسعود وابن ماجه في سننه: كتاب الفتن: باب الوقوف عند الشبهات ٢ / ١٣١٨ ح ٣٩٨٤. وأحمد بن حنبل في مسنده ٤ / ٢٦٧، ٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٥ بنحوه.
والدارمي في سننه: كتاب البيوع: باب في الحلال بين والحرام بين ٢ / ١٦١ ح ٢٥٢٤ بنحوه.

ومائة حديث، اتفق البخاري ومسلم على خمسة، وانفرد البخاري بحديث، ومسلم بأربعة روى عن النبي ﷺ وعن عمر وعائشة وعن خالد بن عبد الله بن رواحة وروى عنه ابنه محمد ومولاه حبيب بن سالم والشعبي وطائفة، كان رحمه الله خطيباً فصيحاً، ولي الكوفة ودمشق، وقتل بالشام سنة أربع وستين أو خمس وستين على خلاف في ذلك [1].

معاني المفردات:

" الحلال بين " الحلال من حل يحل بكسر الحاء . وهو ما لم يرد دليل بتحريمه، فيشمل ما سكت عنه وقيل هو ما ورد دليل بحله فلا يشمل المسكوت عنه، وهو ضد الحرام.

" والحرام بين " أي هو ما ورد دليل بتحريمه والمنع منه. وقيل هو ما لم يرد دليل بحله. ومعنى " بين " أي ظاهر بالنسبة إلى ما دل عليه بلا شبهة.

" مشتبهات " أي بينهما أمور مشكله لما فيها من شبه الطرفين المتعارضين، فمرة تشبه هذا، وأخرى تشبه ذاك. وقيل هو ما كان غير واضح الحل أو الحرمة.

" فمن اتقى الشبهات " أي جعل نفسه في وقاية منها بالإبتعاد عنها والتحفظ منها.

" استبرأ لدينه وعرضه " أي برأ دينه من النقص وعرضه من الطعن فيه، فابتعاده عن المشبهات جعله يطلب البراءة ويحصلها.

" الحمى ": هو المكان المحمي أي الممنوع على غير مالكه.

"ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام: كالراعي يرعى حول الحمى": "ومن " شرطية وعلى هذا ففعل الشرط وهو قوله: " وقع " وجوابه: "وقع في الحرام" ويصح أن تكون "من" موصولة وعلى هذا فتكون مبتدأ والخبر "كالراعي" والمعنى مثله

(١) خلاصة تهذيب الكمال صـ ٣٤٤: ٣٤٥، والإصابة في تمييز الصحابة ٣ / ٥٥٩ والإستيعاب لابن عبد البر ٤ / ٣٦٢ والرياض المستطابة ص ٢٦٢.

مثل راع يرعى مواشيه حول "الحمى" وهو كل ما يحمى ويكون مملوك لشخص معين أو لجهة معينة.

" ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله محارمه ".

" ألا " أداة تنبيه تشير إلى أن ما بعدها من الأمور المهمة التي ينبغي أن يلتفت إليها والواو عاطفة على محذوف والتقدير: ألا إن الأمر كذلك وإن لكل ملك حمى، أي مكان خصب جعله خاصاً لرعي مواشية وحذر وأنذر من رعى فيه بالعقوبة.

" ألا وإن حمى الله محارمه " لبعد المسافة بين حمى الملوك وحمى ملك الملوك سبحانه وتعالى ومحارمة: أي معاصيه التي حرمها.

" مضغة " المضغة: هي القطعة من اللحم تكون بمقدار ما يمضغ.

المعنى الإجمالي للحديث:

الإسلام هو دين العلم والعمل يدعو أتباعه لمعرفة أصوله وفروعه، والوقوف على الظاهر منها والخفي، حتى إذا ما جاء دور العمل كان منبعثاً من نور، وسائراً على هدى وبصيرة، كما ينبه إلى مستقر العقيدة في الإنسان. وييسر أعماله كلها، وهو " القلب " فبصلاحه يتم صلاح سائر الجسد وبفساده يكون فساد سائر الجسد.

وقد أجمع العلماء على عظم موقع هذا الحديث، وأنه أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام، وقال جماعة: هو ثلث الإسلام وأن الإسلام يدور عليه وعلى حديث " إنما الأعمال بالنيات " وحديث " من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه " وحديث " لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه ".

وقال ابن العربي [1]: يمكن أن ينتزع من هذا الحديث وحده جميع الأحكام أهـ. لما فيه من بيان الحلال والحرام وما بينهما، ويضع الضوابط الدقيقة لمنع أية شبهة تتسرب إلى المال وغيره، فالمال يمثل أقصى شهوات النفس البشرية، ولهذا يأمر الله عز وجل بتناول الحلال الطيب قبل أن يأمرنا بعمل الصالحات قال تعالى: **(يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً)** [2] لأنه لا تقبل عبادة أو يستجاب دعاء، والمال من حرام. قال ﷺ إن الله طيب لا يقبل إلا طيب " فينبغي أن يكون المطعم والمشرب والملبس.. الخ حلالاً. وارشد على معرفة الحلال وأنه ينبغي ترك المشتبهات، لأنه سبب لحماية دين المسلم وعرضه، وحذر من الوقوع في المتشابهات، وأوضح ذلك بضرب المثل بالحمى، ثم بين أهم الأمور، وهو مراعاة الطيب دائماً واستخلاصه مما يشوبه حتى يكون صالحاً خالصاً لله وحده.

والرسول ﷺ يضع في هذا الحديث حدوداً يجب أن ينتهي إليها الناس في موقفهم من الدين ما خفي منه وما ظهر، فبين أن أحكام الشرع لا تخرج عن أمور ثلاثة.

ففي هذا الحديث قطع الريبة من النفوس، وحد من أطماع المتلاعبين بالكسب والعمل، أو العابثين بشتى الوظائف الاجتماعية: فيقرر حقيقة هي من الوضوح بمكان بحيث لا يغفلها أحد، ولا تغيب عن ذهن عاقل.

أولاً " الحلال بين والحرام بين " إنه واضح للجميع الخاصة والعامة، وهو معلوم من الدين بالضرورة أي لا يجهله أحد ما بداهة، فلا شبهة فيه ولا غموض ومن أمثلته أكل الطيب المباح، وشرب الطيب المباح، ولبس الثياب المباحة.

ومن أمثلة الحرام: أكل الربا. وشرب الخمر . والسرقة وغير ذلك كثير.

---

(١) عمدة القارئ ٣٤٢/١.

(٢) سورة المؤمنون آية ٥١.

ومن رحمة الله بالعباد أنه بين لهم الحلال من الحرام، والطيب من الخبيث وتكفل سبحانه وتعالى بالتحليل والتحريم عن طريق الوحي فقال جل شأنه: **(ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة)** [١]

وقامت السنة الشريفة كمصدر ثاني للتشريع بجوار القرآن الكريم في تفصيل ما أجمل، وبيان ما يحتاج إلى توضيح، قال تعالى: **(وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم)** [٢] وقد وضح الرسول ﷺ للناس الحلال والحرام قال تعالى: **(اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً)**[٣]

وهناك أمر ثالث لم ينص الشارع على حله أو حرمته، فاختلفت وجهة النظر الفقهي فيه، والراجح أنه من قبيل المعفو عنه.

وهو الأمور المشتبهة وعبر عنه في الحديث بقوله: " وبينهما مشتبهات لا يعلمهن كثير من الناس " أي بين الحلال والحرام وهي أمور مشتبه حكمها على كثير من الناس فلا يقطعون فيها برأي ولا يقفون على حكمها أهي من الحلال أم لا ؟ والسبب في هذا، أنه يتنازعها دليل الحل فيظن أنها حلال، ودليل الحرمة فيظن أنها حرام.

وذهب بعض العلماء إلى أنها حرام، وقال البعض: إنها مكروهة، وقيل الوقف فلا حكم فيها بحل ولا حرمة، لأنها غير واضحة. والراجح الأخذ بالأحوط فبالنسبة لمن لم يقطع في هذه الأمور برأي واضح الدليل يتعين عليه أن يسأل الراسخين في العلم وهم القلة الذين أوتوا بصيرة مستنيرة، وعقلية علمية راجحة ولديهم القدرة على الجمع بين الأدلة التي ظاهرها التعارض. قال تعالى: **(ولو ردوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم)** [١].

---

(١) سورة النحل آية ٨٩.

(٢) سورة النحل آية ٤٤.

(٣) سورة المائدة آية ٣.

(١) سورة النساء آية ٨٣.

أما إذا اختلفت الآراء باختلاف الأدلة فعلى المسلم أن يحتاط لدينه ويتوقف عن هذه الأمور.

وقد أودع الله عز وجل في الإنسان ما به يميز بين الخير والشر، بين ما يكون فيه صلاحه ونفعه، وما فيه فساده وضرره، فما جزم الشرع بحله فهو الحلال المباح فعله، أو هو ما انتفى عن ذاته الصفات المحرمة له، وعن أسبابه ما يجر إلى خلل فيه، ومن أمثلته المشي والكلام وأكل الخبز والفاكهة وغير ذلك كثير.

وما جزم الشرع بحرمته فهو الحرام المحظور فعله، أو هو ما في ذاته صفة محرمة كالإسكار في الخمر، أو في سببه ما يجر إلى خلل فيه كالبيع الفاسد، ومن أمثلة الحرام: الزنا والغيبة وشرب الخمر والمسكرات، وتناول السم والمخدرات، وأكل النجس وذبيحة المجوس، والربا والغصب والسرقة، وغير ذلك من المحرمات.

وما خفي فيه الدليل أو تعارض فهو المشتبه، وهو الذي يتردد المكلف فيه بين الفعل أو الترك، بين الإقدام عليه أو الإحجام عنه، تبعاً لما عنده من دوافع الخير أو الشر، وإجترائه على فعل غير المباح أو تورعه عنه

وفسر الإمام أحمد المشتبه: بما اختلف في حل أكله كالخيل، أو شربه كالنبيذ أو لبسه كجلود السباع، أو كسبه كبيع العينة وهو أن يبيع الرجل متاعه إلى أجل ثم يشتريه في مجلس العقد بثمن حال ليسلم به من الربا، وسمي هذا البيع عينة لأن المشتري لهذه السلعة إلى أجل يأخذ بدلها عيناً، أي نقداً حاضراً، وهذا البيع يكون حراماً إذا اشترط المشتري على البائع أن يشتريها منه بثمن معلوم، فإن لم يكن بينهما شرط فقد أجازها الشافعي لوقوع العقد سليماً من المفسدات ومنعها بعض المتقدمين وكان يقول: هي أخت الربا [1] أهـ.

(١) المصباح المنير ١٧٦.

وفسر ايضا بيع العينة: بأنه ما اختلط فيه الحلال والحرام، ومن أمثلته معاملة من في ماله حرام،فإن الورع يقتضي تركها . وإن جازت . إلا إذا غلب على الظن أن أكثر ماله حرام فإنها لا تجوز.

وليس من المشتبه ما كان سبب التحريم فيه مجرد توهم لا اساس له، كمن يترك الزواج من بلد كبير خشية أن يكون فيه محرم عليه بنسب أو رضاع أو مصاهرة وكمن يترك استعمال ماء لمجرد احتمال وقوع نجاسة فيه، فإن ذلك من وساوس الشيطان، وليس من المشتبهات في شيء.

وإذا كان النبي ﷺ قد ترك أكل تمرة وجدها في حجرته خشية أن تكون من تمر الصدقة . وهي محرمة على النبي ﷺ وعلى آل بيته . فلأن احتمال كونها من تمر الصدقة غير بعيد، فإن كثير من المسلمين كانوا يأتون بصدقاتهم من التمر إلى المسجد، وكانت حجرات النبي ﷺ ملتصقة به، وليس ببعيد أن تنتشر منه تمرة، أو يحملها طفل إلى حيث وجدها النبي ﷺ. فاحتمال كونها من الصدقة احتمال قوي يبرر تورعه ﷺ عن تناولها، صوناً لذاته الكريمة عما يشتبه أنه من الحرام عليه ﷺ، حيث لا تحل الصدقة لمحمد ولا لآل محمد.

وعندما نادى النبي ﷺ على صاحبين له، كانا قد أسرعا حينما رأياه واقفاً بالليل مع زوجته صفية بنت حُيَيٍّ، نادى عليهما أن يتمهلا، ثم أعلمهما أن التي تقف معه بالليل هي زوجته صفية بنت حُيَيٍّ فقالا معاذ الله أن نظن بك السوءَ يا رسول الله، ورد عليهما ﷺ قائلاً: " لقد خشيت أن يقذف الشيطان في قلوبكما شراً، فإن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم من العروق " (٢)

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب الأحكام: باب الشهادة تكون عند الحاكم في ولايته القضاء أو قبل ذلك للخصم ٨٧/٩ وفي كتاب بدء الخلق: باب صفة إبليس وجنوده ١٥٠/٤ ـ = = وأبو داود في سننه: كتاب الصوم: باب المعتكف يدخل البيت لحاجته ٣٣٣/٢ ح رقم ٢٤٧٠، ٢٤٧١.
وفي كتاب الآدب: باب في حسن الظن ٢٩٨/٤ ـ ٢٩٩ ح رقم ٤٩٩٤.

وما كان منه عليه السلام إلا تعليماً للأمة الإسلامية ألا يقف واحد منها موقف شبهة إلا مضطراً، وأن يبين السبب لغيره عند ذلك خشية أن يظن به السوء وهو منه براء.

ثم يبين الحديث بعد ذلك مغبة ما يؤول إليه أمر هذه الأمور المشتبهة، بأن من وقع فيها وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك أن يواقعه، فإن فعل الشبهات يقرب من الحرام، لأن الكثرة منها تجعل صاحبها يصادف الحرام دون أن يشعر أو أن كثرة تعاطي الشبهات والتساهل في أمرها تجعله يجرؤ على الوقوع في الحرام.

ومن أجل هذا كان تشبيه الرسول ﷺ من يقع في الشبهات بالراعي الذي يأتي بغنمه لترعى حول الأماكن الممنوعة.

فإن ذلك تعريضاً لها وله بأن يقع فيما هو عليه محظور، فقد يسهو ويغفل وقد يخطئ ويهمل، فتفلت منه غنمه أو غنمات لترعى فيما هو عليه حرام.

ألا وإن لكل ملك حمى، ألا وإن حمى الله في أرضه محارمه.

إذا كان الملوك في الأرض والرؤساء فيها . وهم من خلق الله . لهم مما يملكون ما يدافعون عنه، وما يمنعون الناس منه، فإن ملك الملوك ورب الأرباب له من الحمى ما ينهي الناس عنه، وهو كل ما حرمه عليهم، فقد حذرهم منه، ونهاهم عنه، ويسر لهم من الوسائل ما به يجتنبونه، فإنها المعاصي التي حرمها، وهي الجنايات على النفس والعرض والمال: كالقتل والزنا والسرقة، والقذف والخمر والكذب والغيبة والنميمة، وأكل المال بالباطل وغير ذلك من فعل ما نهى الله عنه،

وابن ماجه في سننه: كتاب الصيام: باب في المعتكف يزوره أهله في المسجد ٥٦٦/١ ح رقم ١٧٧٩.

والدارمي في سننه: كتاب الرقائق: باب الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم ٢٢٨/٢ ح رقم ٢٧٨٥.

وأحمد بن حنبل في مسنده ١٥٦/٣، ٢٨٥، ٣٠٩، ٢٣٧/٦.

أو ترك ما أمر الله به، إنها حمى الله يدفع عباده عنه، حتى يأمنوا على أنفسهم، ولا يصيبهم بفعله الأذى أو المكروه.

ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله. وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب.

فالقلب هو مستقر الصلاح في الإنسان ومبعث الخير والبر فيه فإن وجه صاحبه إلى الخير وقاده إليه انتفع بهذا التوجيه صلاحاً في أعماله وأقواله: هداية راشدة وسلوكاً قويماً، وكان جزاؤه في الدنيا حياة طيبة يسعد بها والناس من حوله، ثم تكون له العاقبة عند الله نعيماً مقيماً ورضواناً كريماً، مصداقاً لقول الله عز وجل: **(من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون)** (١)

وإن كانت الأخرى وقاده قلبه إلى الشر ودله عليه، كان ذلك التوجيه وبالاً على صاحبه، لفساد عمله، وسوء عاقبته فهو في الدنيا شقي لأنه فيها عضو فاسد، وفي الآخرة شقى يجد فيها جزاء الأشقياء قال تعالى: **(يوم تجد كل نفس ما عملت من خير محضراً، وما عملت من سوء تود لو أن بينها وبينه أمداً بعيداً ويحذركم الله نفسه والله رءوف بالعباد)**(٢)

فهذا الحديث كثير النفع عظيم الوقع، وهو أحد الأحاديث التي يدور عليها الإسلام، فقد نبه فيه عليه الصلاة والسلام على ضرورة إصلاح المطعم والمشرب والملبس، وأنه ينبغي للمرء أن يحافظ على ذلك درءاً للشبهة، وحماية للدين والعرض، ثم نبه على منزلة القلب وأهميته بالنسبة لسائر الجسد، وأنه بمثابة القائد للجيش، والراعي للرعية، بصلاحه تصلح، وبفساده تفسد، وأن عمل القلب أساس

(١) سورة النحل آية ٩٧.
(٢) سورة آل عمران آية ٢٠.

لأعمال الجوارح، عليه تتوقف، وبه تفسد أو تصح، تبعا لما يصدر عنه من إرادة الشر أو الخير اللهم أهدنا إلى الخير وباعد بيننا وبين الشر.

ما يستفاد من الحديث:

١. الحث على فعل كل ما هو حلال والبعد عن فعل الحرام.
٢. الإمساك عن فعل المشتبه احتياطاً للدين والعرض، وعدم الإقدام على ما يسئ الظن أو يوقع في المحظور، عملاً بالورع وسداً للذرائع، وبخاصة العلماء وموضع القدوة من الناس، لتظل الثقة فيهم مستمرة دائمة.
٣. تعظيم شأن القلب، وأنه محل العقل، والسعي في إصلاحه ليصلح به سائر الجسد.
٤. أن من ترك الأشياء المشتبهة بعزم وإخلاص كان أشد حرصاً على ترك المحرمات الظاهرة والذنوب الكبيرة. بل والصغيرة، ففي الحديث " من ترك ما يشتبه عليه من الإثم كان لما استبان أترك "
٥. الأعمال القلبية أفضل من الأعمال البدنية وأساس صلاحها.
٦. اليقظة والفطنة إلى مداخل الشيطان وسدها عليه، حتى لا يجد طريقاً إلى الوسوسة أو الإغواء.

الخاتمة

الحمد لله الذى بفضله تتم الصالحات، والحمد لله أولاً وأخيراً، وصلى الله وسلم تسليماً كثيراً، على نبى الرحمة، والهدى محمد بن عبد الله ﷺ.

وبعد الانتهاء من عرض هذه الطائفة من أحاديث رسول الله صلوات الله وسلامه عليه مصحوبة بالشرح والتحليل وما ترشد إليه من فوائد جليلة أرجو أن اكون قد أسهمت ولو بجهد قليل فى خدمة السنة النبوية المطهرة وأسأل الله تعالى أن ينفع بها كل قارئ وأن يجعله عملاً خالصاً لوجهة الكريم وأن يوفقنا دائماً لخدمة الكتاب والسنة النبوية الشريفة وحسبى الله ونعم الوكيل، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم، ما شاء الله لا قوة إلا بالله، توكلت على الله وأعتصمت بالله، واستعنت بالله، وفوضت أمرى إلى الله وأستودعت الله ديني ونفسي وأولادي وأساتذتي الكرام وسائر من أحسن إلىّ وجميع المسلمين، فإنه سبحانه إذا استودع شيئاً حفظه ونعم الحفيظ.

وأسأل الله عز وجل أن يرزقنى إخلاص النية فيما قصدت، وأن يلهمنى الصواب، ويعصمنى من الخطأ، وأن يعفو عنى سبحانه وتعالى عما يقع منى من تقصير وأن ينفعنا يما علمنا، وأن يعلمنا ما جهلنا، إنه نعم المولي ونعم النصير، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

(رَبَّنَا لاَ تُؤَاخِذنَا إِن نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلاَ تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَآ أَنتَ مَوْلاَنَا فَانصُرْنَا عَلَى القَوْمِ الكَافِرِينَ) [1]

([1]) سورة البقرة: آية ٢٨٦.

المصادر والمراجع

١- القرآن الكريم

٢- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم وضعه محمد فؤاد عبد الباقى دار الريان للتراث.

٣- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى الشريف على الكتب الستة ومسند الدرامي وموطأ مالك ومسند أحمد بن حنبل.

٤- المعجم الأوسط للحافظ أبى القاسم سليمان بن احمد بن أيوب اللخمى الطبراني، المتوفى سنة ٣٦٠هـ، تحقيق الدكتور محمود الطحان. ط مكتبة المعارف، الرياض.

٥- المعجم الكبير للحافظ الطبرانى حققه وخرج احاديثه حمدى عبد المجيد السلفى، الطبعة الثانية.

٦- الأدب المفرد للبخارى دار الباز للنشر والتوزيع عباس أحمد الباز، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

٧- الترغيب والترهيب للمنذرى. ط، دار الفكر، بيروت، لبنان

٨- الجامع الصحيح "سنن الترمذى" لأبى عيسى الترمذي، تحقيق وتعليق إبراهيم عطوة عوض، شركة مطبعة ومكتبة مصطفى البابى الحلبى وأولاده بمصر.

٩- إحياء علوم الدين تصنيف الإمام أبى حامد محمد بن محمد الغزالى، وبذيله كتاب المغنى عن حمل الأسفار فى الأسفار فى تخريج ما فى الإحياء من الأخبار، للعلامة زين الدين أبى الفضل عبد الرحيم بن الحسين العراقي، دار القلم، بيروت، لبنان.

١٠- السنن لأبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى، مراجعة وضبط وتعليق محمد محى الدين عبد الحميد، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١١- السنن للنسائى، لأحمد بن شعيب النسائي، بشرح الحافظ جلال الدين السيوطى، الطبعة الأولى، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.
١٢- السنن الكبرى، لإمام المحدثين الحافظ الجليل أبى بكر أحمد بن الحسين بن على البيهقى، المتوفى سنة ثمان وخمسين وأربع مائة، وفى ذيله الجوهر النقى للعلامة علاء الدين بن على بن عثمان المارديني الشهير بابن التركمانى، المتوفى سنة خمس وأربعين وسبع مائه، دار الفكر، بيروت، لبنان
١٣- الفتح الرباني، لترتيب مسند أحمد بن حنبل الشيبانى مع مختصر شرحه بلوغ الأمانى من أسرار الفتح الربانى، تأليف أحمد عبد الرحمن البنا، دار إحياء التراث العربى، بيروت، لبنان.
١٤- المستدرك على الصحيحين، للإمام أبى عبدالله محمد بن عبد الله المعروف بالحاكم النيسابورى الحافظ، المتوفى فى صفر سنة خمس وأربع مائه هـ، وفى ذيله تلخيص المستدرك، للإمام شمس الدين أبى عبد الله محمد بن أحمد الذهبى، المتوفى سنة ثمان وأربعين وثمان مائه، الناشر مكتبة ومطابع دار الفكر، بيروت.
١٥- الموطأ، لإمام الآئمة وعالم المدينة مالك بن أنس ﷺ صححه ورقمه وخرج أحاديثه وعلق عليه محمد فؤاد عبد الباقى، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابى الحلبى وشركاؤه.
١٦- المقاصد الحسنة، للسخاوى، تحقيق الغمارى، مكتبة الخانجى، ١٣٧٥هـ.
١٧- النهاية فى غريب الحديث والأثر، لابن الأثير تحقيق طاهر أحمد الزاوى ومحمد الطناحي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

١٨- أحكام القرآن، لأبى بكر محمد بن عبد الله المعروف بابن العربى، تحقيق على البجاوى، طبع عيسى الحلبى، ١٣٧٦هـ.
١٩- تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذى، للإمام الحافظ أبى العلى محمد بن عبد الرحمن ابن عبد الرحيم المباركفورى، ضبطه وراجع أصوله وصححه عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٢٠- تفسير ابن كثير، مطبعة الاستقامة، القاهرة.
٢١- تفسير القرطبي: (الجامع لأحكام القرآن الكريم) دار الكتب المصرية.
٢٢- دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين، تأليف محمد بن علان الصديقى الشافعى الأشعرى المكى وضع بأعلى الصحائف كتاب رياض الصالحين، للإمام محي الدين أبى زكريا يحيي بن شرف النووى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٣- زاد المعاد فى هدى خير العباد لابن القيم، مطبعة محمد على صبيح، القاهرة.
٢٤- سبل السلام، تأليف السيد الإمام محمد بن إسماعيل الكحلانى ثم الصنعانى المعروف بالأمير (١٠٥٩ – ١١٨٢هـ) شرح بلوغ المرام، من جمع أدلة الأحكام، للحافظ ابن حجر العسقلاني القاهرة (٧٧٣ – ٨٥٢هـ) ويليه متن نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر مع تعليقات مختارة للإمام أبن حجر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٢٥- سنن ابن ماجه، لمحمد بن يزيد القزوينى، تحقيق وترقيم وتعليق محمد فؤاد عبد الباقى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.

٢٦- سنن الدارمي، تأليف الحافظ الحجة الإمام الكبير شيخ الإسلام أبو محمد بن عبد الرحمن الدرامي، المولود سنة ١٨١هـ، والمتوفى سنة ٢٥٥هـ.
٢٧- شرح السنة، للإمام المحدث الفقيه الحسين مسعود البغوى حققه وعلق عليه وخرج أحاديثه شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي.
٢٨- صحيح البخارى، لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن بردذبة البخارى الجعفى ﷺ، دار مطابع الشعب.
٢٩- صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى (٢٠٦ – ٢٦١هـ) تحقيق وطبع وترقيم وتعليق خادم الكتاب والسنة محمد فؤاد عبد الباقى، دار إحياء الكتب العربية، عيسى اليابى الحلبى وشركاه.
٣٠- صحيح مسلم بشرح النووى، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٣١- عون المعبود، شرح سنن أبو داود مع شرح الحافظ ابن قيم الجوزية، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
٣٢- عمدة القارئ للعينى.
٣٣- فتح البارى بشرح صحيح البخارى، لابن حجر العسقلاني ترقيم محمد فؤاد عبد الباقى، دار المعرفة للطباعة والنشر – بيروت – لبنان.
٣٤- كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من الأحاديث على ألسنة الناس للعجلونى مكتبة القدس.
٣٥- لسان العرب لجمال الدين محمد بن مكرم الأنصارى الشهير بابن منظور المولود سنة ٦٣٠هـ - المتوفى سنة ٧١١هـ ، طبعة دار المعارف.

٣٦- مختصر تفسير ابن كثير اختصار، وتحقيق محمد على الصابونى، دار القرآن الكريم، بيروت، للإمام الجليل الحافظ عماد الدين أبى الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقى، المتوفى سنة ٧٧٤هـ.
٣٧- مسند الإمام، أحمد بن حنبل الشيبانى، المكتب الإسلامي للطباعة والنشر دار الفكر، بيروت.
٣٨- مصنف أبن أبى شيبة للإمام الحافظ عبد الله بن محمد بن أبى شيبة إبراهيم ابن عثمان بن أبى بكر بن أبى شيبه الكوفى العبسى، المطبعة السلفية الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
٣٩- المصنف للحافظ الكبير أبى بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني سنة ١٢٦ – ٢١١هـ المجلس الأعلى.
٤٠- موارد الظمآن إلى زوائد بن حبان، للحافظ نور الدين على بن أبى بكر الهيثمى، حققه ونشره محمد عبد الرازق حمزة، ط دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.
٤١- نيل الأوتار من أحاديث سيد الأخيار شرح منتقى الأخبار للإمام محمد على ابن محمد الشوكاني، المتوفى سنة ١٢٥٥ هـ - مكتبة دار التراث.